عائلة الثالوث القدّوس

أوراق ديريّة

١

ويـر
القدّيس
يوحنا
المعمدان

ويـر
القدّيس
سلوان
الآثوسي

المسيح الدجّال

واقع أم خيال؟

الأرشمندريت توما (بيطار)

٢٠٠٢

المسيح الدجّال

واقع أم خيال؟

محاضرة أُلقيت

في كنيسة القدّيس نيقولاوس – الأشرفية

في ٤ نيسان ٢٠٠٢

المدخل

موضوع "المسيح الدجّال" شغل الكنيسة، في كل تاريخها، جيلاً بعد جيل. فدائماً ما كان الناس حسّاسين لعلامات الزمان الأخير. الزلازل والمجاعات والأوبئة والحروب، كلّها شدّت الناس إلى ذكر أواخر الدهور. كثيرون ادّعوا، بين اليهود، أنهم المسيح المنتظر. ثمّة مَن يُحصي حوالي الستّين. كثيرون أُطلق عليهم لقب "المسيح الدجّال" إما لظلمهم وشرّهم وإما لفسادهم وانحلالهم. بعض هؤلاء كان غير مسيحي وبعضهم مسيحياً. بين هؤلاء الأمبراطور والسياسي والأسقف والهرطوقي. من الأباطرة الرومان نيرون (٣٧ - ٦٨ م) وكاليغولا (١٢ - ٤١م). ومن الأباطرة البيزنطيين يوليانوس الجاحد (+٢٦٣م) ويوستنيانوس الأول (+ ٥٦٥م). ومن أباطرة الغرب فريدريك الثاني ملك بروسيا (+ ١٧٨٦م). ومن الهراطقة آريوس (القرن ٤م). ثم هناك نابوليون بونابارت (+ ١٨٢١م) وهتلر (+ ١٩٤٥م)، وحتى غورباتشوف في الزمن الحاضر. درجة التوتّر بين الناس كانت ترتفع، أحياناً، إلى حدّ إقلاق الكنيسة برمّتها. المجمع اللاتراني الخامس في الغرب (١٥١٦م) منع المبشّرين من ذكر مجيء "المسيح الدجّال" وكأنه وشيك. وبين الأرثوذكس، في السنوات الأخيرة، سرت موجة ذعر من جرّاء ظهور علامة ٦٦٦ على بطاقات الهويّة الجديدة والضريبة وعلى منتجات استهلاكية وأبنية وما سوى ذلك. تهدئةً للخواطر وتوضيحاً للأمور أصدر المجمع المقدّس لكنيسة اليونان في شباط ١٩٩٨، وكذلك اللجنة المجمعية اللاهوتية للكنيسة الروسية[1] في شباط ٢٠٠١، بيانات خلاصة أهم ما جاء فيها ما معناه ان علامة الوحش أو عدد اسمه، متى حلّت الساعة، سيقترن بقبول الناس، عن إرادة، لـ"ضدّ المسيح" باعتباره المسيح المنتظر. الأرقام، في ذاتها، كعلامات خارجية، لا تقدّس ولا تنجّس ولا تخيف. أنّى يكن الأمر فقد اعتبر الكثيرون الازدياد المطّرد في استعمال الرقم ٦٦٦ تحضيراً لمجيء "ضدّ المسيح"[2].

---

[1] www.russian-orthodox-church.org.ru/ne 102206.htm

[2] الأب بائيسيوس الآثوسي. علامات الزمن ٦٦٦. عن اليونانية.

هذا وكثيرون، اليوم، يهوون لغة الأرقام وهم يظنّون ان فيها علامات لنهاية الأزمنة. فيما يركّز آخرون لا على العلامات الخارجية بل على العلامات الداخلية ذات العلاقة بالحياة الروحية في كنيسة المسيح.

ما هو المقبول وما هو غير المقبول؟ كيف نقرأ كل ما يحدث؟

ما سأعرضه عليكم هو ما يقوله الكتاب المقدّس والآباء القدّيسون. كذلك سأتوقّف، في ضوء ما ورد في التراث، عند موضوع "المسيح الدجّال" اليوم. إلى أي حدّ نحن معنيّون؟

من هذه الزاوية أودّ ان أنبّهكم ان الموضوع في غاية الجدّية. وبإمكانكم ان تعتبروا ان ما سأقوله لكم هو أقرب إلى التحذير منه إلى الحديث العادي.

الشيطان وضدّ المسيح كما تصوّرَهما الفنان الإيطالي سينيوريللي (١٥٠٢) ورسمهما في لوحة الدينونة الأخيرة في كاتدرائية أورفييتو الإيطالية

اللفظة المقابلة لعبارة "المسيح الدجّال" أو "ضد المسيح"، في اليونانية، هي Antichristos[3] (ἀντίχριστος). تعني هذه اللفظة، في الأساس، مَن يأخذ مكان المسيح. ثم صارت تعني أيضاً مَن هو ضد المسيح. وردت خمس مرّات في رسالتَي يوحنا الأولى والثانية دون سواهما من الأسفار الكتابية. لكن أقوالاً وردت هنا وهناك، في هذه الأسفار، يبدو أنها تشير إلى "ضد المسيح" دون أن تسمّيه. من لملمة هذه الأقوال وجمعها يتّضح بعض ملامح "المسيح الدجّال" الكتابية وكذلك علامات الزمان الأخير على النحو التالي:

١. "المسيح الدجّال"، بصورة أساسية، شخص[4]، إنسان[5]. لكن، بصورة عامة، كل مَن ينكر الآب والابن وأن الابن تجسّد، وبالإمكان القول كل مَن يعلّم تعليماً فاسداً عن يسوع هو مسيح دجّال[6]. أما ما يُسمّى بـ"روح ضدّ المسيح"[7] فقائم في العالم وهو يعمل منذ أيام المسيح يسوع على الأرض.

٢. "المسيح الدجّال" يأتي مباشرة قبل المجيء الثاني للمسيح ويدلّ عليه[8] أنه على الأبواب.

٣. يُوصف "المسيح الدجّال" بكونه "إنسان الخطيئة" و "ابن الهلاك" و"المقاوم والمرتفع على كل ما يُدعى إلهاً أو معبوداً حتى إنه يجلس في هيكل الله كإله مُظهراً نفسه أنه إله"[9].

---

[3] New International Dictionary of New Testament Theology. Vol. 1 . Antichrist

[4] يوحنا يستعمل اللفظة بصيغة المفرد والجمع معاً (١ يو ٢: ١٨، ٢٢).

[5] رؤ ١٣: ١٨؛ ٢ تسا ٢: ٣

[6] ١ يو ٢، ٤

[7] ١ يو ٤: ٣

[8] ٢ تسا ٢: ٢ – ٤

[9] الحاشية ٨

٤. يرتبط مجيء "المسيح الدجّال" بالإرتداد[١٠] الذي سيحدث، أي بتخلّي أقوام من المؤمنين عن الإيمان الحي بيسوع. توضيحاً للصورة يذكر القدّيس ثيوفانيس الحبيس (+ ١٨٩٤ م) عن الزمان الأخير انه "رغم بقاء اسم المسيحي مسموعاً في كل مكان وانه ستكون هناك كنائس وخِدم كنسيّة، فإن هذا سيكون في الشكل فقط فيما يكون الإرتداد، في المضمون، هو سيّد الموقف"[١١].

٥. ويُدعى "المسيح الدجّال"، أيضاً، "الوحش". وهو المذكور في سفر الرؤيا. هذا سوف يجعل الجميع الصغار والكبار والأغنياء والفقراء والأحرار والعبيد تُصنع لهم سِمَة على يدهم اليمنى أو على جبهتهم، وان لا يقدر أحد ان يشتري أو يبيع إلا مَن له السِّمة أو اسم الوحش أو عدد اسمه. وعدد الوحش هو عدد إنسان وعدده ستمائة وستة وستّون[١٢].

٦. و"المسيح الدجّال" سوف يعطيه "التنّين"، أي الشيطان، "قدرته وعرشه وسلطاناً عظيماً"[١٣].

٧. و"الوحش"، ايضاً، سوف يفتح فمه "بالتجديف على الله ليجدّف على اسمه وعلى مسكنه وعلى الساكنين في السماء"[١٤].

٨. و"الوحش"، كذلك، أُعطي ان يحارب القدّيسين، أي المؤمنين بيسوع، ويغلبهم كما أُعطي سلطاناً على كل قبيلة ولسان وأمّة. هنا يقيم الكتاب المقدّس تمييزاً بين عامة المدعوّين "مؤمنين" ومَن يسمّيهم "المختارين"، أي بين الراسخين في الإيمان والملتوين. وبتعبير أعمّ لسفر الرؤيا "سوف يسجد له [أي للوحش] جميع الساكنين على الأرض الذين ليست أسماؤهم مكتوبة، منذ تأسيس العالم، في سفر حياة الخروف الذي ذُبح"[١٥]. هنا لا بدّ من الإشارة إلى المعتبَرين "هالكين" الذين ستفعل فيهم "خديعة الإثم"

---

[10] الحاشية ٨

[11] Taushev & Rose. The Apocalypse. St. Herman's Brotherhood 1998 p. 20

[12] رؤ ١٣: ١٦ – ١٨

[13] رؤ ١٣: ٢

[14] رؤ ١٣: ٦

[15] رؤ ١٣: ٨

التي للمسيح الدجّال. هؤلاء ليس الله هو الذي يتخلّى عنهم بل هم يتخلّون عنه بعناد. لهذا السبب يسلمهم إلى الضلال. يسلمهم إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق[16]. فلأنهم لم يقبلوا محبّة الحق بل سرّوا بالإثم يرسل الرب الإله إليهم عمل الضلال ليصدّقوا الكذب دينونة لهم[17].

٩. وسوف يكون للمسيح الدجّال "مسحاء كذبة وأنبياء كذبة[18] يُسبِّحون بحمده ويدعون للسجود له. هؤلاء يُعطَون آيات عظيمة وعجائب، من الشيطان، "حتى يُضلّوا لو أمكن المختارين أيضاً"[19]. من بين هؤلاء الأنبياء الكذبة سيكون هناك نبي كذّاب مميزً يسمّيه سفر الرؤيا "وحشاً آخر"[20]. هذا سيعمل بنفس سلطان "المسيح الدجّال" ويجعل الأرض وسكّانها يسجدون لـ"ضد المسيح" ويصنع آيات عظيمة حتى إنه "يجعل ناراً تنزل من السماء على الأرض قدّام الناس ويُضلّ الساكنين على الأرض" ويَجعل جميع الذين لا يسجدون لـ"لمسيح الدجّال" يُقتَلون.

١٠. و"المسيح الدجّال"، أيضاً، سوف يأسر الكثيرين بدهائه. سوف يأتي أولاً كداعية سلام. لذلك ورد في دانيال النبي انه "في الأمان يدمّر كثيرين"[21]. وهناك قول آخر ينطبق عليه انه "يأتي بأمان ويستولي على المُلك بالخداع"[22].

١١. أما الحالة التي ستسود، في ذلك الزمان الأخير، فتُختصر بالتالي: علامة مجيء المسيح ثانية وانقضاء الدهر ستكون كثرة الضلال وتزايد العنف والمجاعات والأوبئة والزلازل. سوف يُسلَم المؤمنون إلى الضيق ويُقتلون ويكونون مبغضين من جميع الأمم لأجل اسم يسوع. ولكثرة الإثم تبرد المحبة ويعثر الكثيرون ويبغض بعضهم بعضاً

---

16 رو ١: ٢٨

17 ٢ تسا ٢

18 متّى ٢٤: ٢٤

19 الحاشية ١٨

20 رؤ ١٣: ١١ – ١٥

21 دا ٨: ٢٤

22 دا ١١: ٢١

ويسلم بعضهم بعضاً[٢٣] . في ذلك الحين سوف يشتهي المؤمنون ان يروا يوماً واحداً من أيام ابن الإنسان فلا يرون[٢٤]. لكن ستكون تلك الأيام محدودة. ولو لم تُقصَّر تلك الأيام ما كان بإمكان إنسان أن يخلص[٢٥]. في ذلك الزمان سوف يكون الناس محبّين لأنفسهم، محبّين للمال، متعظّمين، مستكبرين، غير طائعين لوالديهم، جاحدين، دنسين. لن يُوجد فيهم الحنان ولا الرضى. لا يعرفون النزاهة ولا يحبّون الصلاح. سيكونون شرسين خائنين، عنيفين، متصلّفين، محبّين للذّات. ستكون لهم صورة التقوى لكنهم سوف يُنكرون قوّتها[٢٦]. يتعلّمون في كل حين ولا يستطيعون ان يُقبلوا إلى معرفة الحق[٢٧]. أناس أذهانهم فاسدة ومن جهة الإيمان مرفوضون. وسيكون وقت لا يحتمل فيه الناس التعليم الصحيح بل حسب شهواتهم الخاصة يَجمعون لأنفسهم معلّمين لدغدغة آذانهم أي ليُسمعوهم ما يطيب لهم، فيصرفون مسامعهم عن الحق[٢٨]. هؤلاء يصفهم الكتاب العزيز بالنفسانيين الذين لا روح لهم[٢٩].

١٢. أما بعد ضيق تلك الأيام فتُظلم الشمس والقمر لا يُعطي ضوءه والنجوم تسقط من السماء وقوّات السماوات تتزعزع. حينئذ تظهر علامة ابن الإنسان في السماء. يبصرون ابن الإنسان آتياً على سحاب السماء بقوّة ومجد كثير[٣٠]. ساعتئذ يرسل الرب الإله ملائكته ليجمع مختاريه من الأربع الرياح، من أقصاء الأرض إلى أقصاء السماء[٣١]. أما "المسيح الدجّال" المسمّى "الأثيم" فيبيده الرب بنفخة فمه ويبطله بظهور مجيئه[٣٢]. وبتعبير سفر الرؤيا يُقبَض على الوحش والنبي الكذّاب الذي معه والذي صنع قدّامه الآيات

---

23 متّى ٢٤: ٩ - ١٠

24 لو ١٧: ٢٢

25 متّى ٢٤: ٢٢

26 ٢ تيمو ٣: ١ – ٥

27 ٢ تيمو ٣: ٧

28 ٢ تيمو ٤: ٣ – ٤

29 يه ١٩

30 متّى ٢٤: ٢٩ – ٣٠

31 مر ١٣: ٢٧

32 ٢ تسا ٢: ٨ ، إش ١١: ٤

التي بها أضلّ الذي قبلوا سِمَة الوحش وسجدوا لصورته، أقول يُقبَض عليهما ويُطرحان في "بحيرة النار المتّقدة بالكبريت"[٣٣]، أي في النار الأبدية.

١٣. إن الساعة الأخيرة لا يعرف أحد متى تكون[٣٤]. ليس معطى لنا ان نعرف الأزمنة والأوقات التي جعلها الآب في سلطانه[٣٥]. فقط أُعطيت لنا علامات عامة لمجيء الرب وانقضاء الدهر. هذه متى رأيناها نعلم انه قريب على الأبواب[٣٦]. وإلى أن تحين تلك الساعة لنا وصيّة أن نحفظ التعليم القويم كما سُلِّم إلينا[٣٧] وأن نسهر ونستعد "لأنه في ساعة لا تظنّون يأتي ابن الإنسان"[٣٨]. علينا أن نحفظ الوصيّة في كل حين. علينا ان نحترز لأنفسنا لئلا تثقل قلوبنا في السكر وهموم الدنيا. علينا أن نسهر مواظبين على الصلاة لكي نُوجَد أهلاً للخلاص والوقوف قدّام ابن الإنسان، الرب يسوع المسيح[٣٩].

هذه، باقتضاب، الصورة التي يرسمها الكتاب المقدّس للزمن الأخير و"ضد المسيح". هذه تناولها الآباء القدّيسون والأجيال المتعاقبة فتوسّعوا فيها وسعَوا إلى توضيح معالمها تنبيهاً للمؤمنين وإعداداً لهم لما هو آت لا محالة لأن السماء والأرض تزولان أما كلام الله فلا يزول.

---

33 رؤ ١٩: ٢٠

34 متّى ٢٤: ٣٣، ٣٦

35 أع ١: ٧

36 الحاشية ٣٤

37 "إن كان أحد يأتيكم ولا يجيء بهذا التعليم فلا تقبلوه في البيت ولا تقولوا له سلام" (٢ يو ١٠)

38 متّى ٢٤: ٤٤

39 لو ٢١: ٣٦

المسيح الدجّال في تعليم الآباء القدّيسين

من مراجعة التراث يبدو لنا ان العديد من آبائنا القدّيسين تناولوا موضوع الزمان الأخير وضد المسيح. من الكبار الذين استعانوا بسفر الرؤيا، في هذا الصدد، القدّيس هيبوليتوس الرومي (+ ٢٣٦م) والقدّيس كبريانوس القرطاجي (+٢٥٨م) والقدّيس غريغوريوس اللاهوتي (+ ٣٨٩م) والقدّيس أمبروسيوس الميلاني (+ ٣٩٧م) والقدّيس أثناسيوس الكبير (+ ٣٧٣م) والقدّيس كيرللس الأورشليمي (+ ٣٨٦م) والمغبوط أوغسطينوس هيبو (+ ٤٣٠م). وأبرز مَن تناول سفر الرؤيا القدّيس أندراوس القيصري في القرن الخامس الميلادي. ثم هناك العديدون تناولوا الموضوع بعامة كالقدّيس إيريناوس الليّوني (+ ٢٠٠م) والقدّيس باسيليوس الكبير (+ ٣٧٨م) والقدّيس إيرونيموس (+ ٤٢٠م) والقدّيس يوحنا الذهبي الفم (+ ٤٠٧م) والقدّيس أفرام السوري (+ ٣٧٣م) والقدّيس يوحنا الدمشقي (+ ٧٤٩م). وفي الأزمنة اللاحقة والقريبة منا تناول العديد من الآباء الموضوع أمثال القدّيس ثيوفانيس الحبيس (+ ١٨٩٤م) والقدّيس أغناطيوس برينشانينوف (+ ١٨٦٧م) والقدّيس قوزما الإيتولي (+ ١٧٧٩م). وعندنا من المعاصرين الأب بائيسيوس الآثوسي (+ ١٩٩٤م)، بالإضافة إلى العديد من الآباء الذين تولّوا معالجة الموضوع هنا وثمّة. في الغرب أيضاً هناك العديد من الذين اهتمّوا، عبر العصور، بموضوع الزمان الأخير وما إليه، لا سيما في القرون الوسطى. إسمان يذكران، بخاصة، هناك أدسو الراهب (القرن العاشر) والراهب يواكيم فيوري (+ ١٢٠٢).

ما يعرضه لنا الآباء القدّيسون في الموضوع المطروح ليس بقليل. ولا شك ان ما يبدونه يلقي الكثير من الضوء على الموضوع بعامة، وعلى موضوع "المسيح الدجّال" بخاصة. دونك خلاصة ما ورد عند هؤلاء الآباء.

١. ولئن كان كل مَن لا يعترف بأن ابن الله قد أتى بالجسد وانه إله كامل هو مسيح دجّال، وكذلك مَن لا يقول عنه انه صار إنساناً كاملاً، فإن ما درج المؤمنون على اقتباله، عبر أجيالهم، بالمعنى الخاص للعبارة، هو ان يدعوا "ضدّ المسيح " "ذاك الذي

سوف يأتي في منتهى الدهر"[٤٠].

٢. مَن هو "المسيح الدجّال"؟ هل هو الشيطان متجسِّداً على مثال الإله المتجسّد، الرب يسوع المسيح؟ كلاّ البتة! "المسيح الدجّال" رجل يولد من زنى[٤١]، من عاهرة[٤٢]. وسيُنشَّأ في الخفية[٤٣]. أبوه لا يعرف أحد مَن يكون[٤٤]. وهو أداة يستخدمها الشيطان ليعمل شخصياً بواسطتها[٤٥]. عمل "ضد المسيح" سيكون بقدرة الشيطان الكاملة. الذهبي الفم يتساءل: "أي شيء لا يقدر "المسيح الدجّال" على صنعه؟ سوف يحرّك كل شيء ويقلق الجميع..."[٤٦]. "كل الخليقة تحت السماء سوف تهتز"[٤٧]. فلأن الشيطان يعلم ان دينونته لن تتأخّر فلن يحارب، بعد، من خلال خدّامه بل بنفسه وعلانية[٤٨]. الأب بوريس مولشانوف يبدي ان الشرّ، بكل طاقته، وإلى الحدّ الذي يمكن للطبيعة البشريّة ان تقتبله، سوف يكون مركّزاً في شخص "ضد المسيح". فالشرّ المتراكم والمتنامي في تاريخ البشريّة سوف يوصلها، في شخص "المسيح الدجّال"، إلى الحدّ الأقصى من فساد الإرادة البشريّة. ذروة فساد الإرادة هذا سوف يقترن بذروة قربى الشيطان من البشريّة في شخص "المسيح الدجّال" بحيث يمسي الشيطان هو الفاعل بتواتر في شخص "ضدّ المسيح"[٤٩]. بكلام أدسو الراهب "في ضدّ المسيح تكون مخبوءة كل مخازن الخبث والإثم"[٥٠].

---

40 القدّيس يوحنا الدمشقي. مائة مقالة في الإيمان الأرثوذكسي. طبعة البولسيين ١٩٨٤. الكتاب الرابع. الرأس السادس والعشرون. في المسيح الدجّال. ص ص ٢٧٣ – ٢٧٤

41 الحاشية ٤٠

42 القدّيس أفرام السوري. عظة في مجيء الرب والنهاية وضدّ المسيح. عن اليونانية.

43 الحاشية ٤٠

44 في رواية فلاديمير سولوفييف (+ ١٩٠٠ م) عن ضدّ المسيح كثيرون ادّعوا أنهم أب "المسيح الدجّال".

45 القدّيس كيرللس الأورشليمي. العظات. سلسلة أقدم النصوص المسيحية ١٩٨٢. العظة الخامسة عشرة

46 عن اليونانية P. G. 62. 482

47 الحاشية ٤٢

48 الحاشية ٤٥

49 www.fr-d-serfes.org/orthodoxe/theantichrist.htm. pp. 8- 9

50 Adso of Montier – en – der. "Letter on the Origin. & Time of the Antichrist". In Apocalyptic Spirituality. spck 1979

فلاديمير سولوفييف عبّر عن واقع "المسيح الدجّال" بطريقة لافتة. هذا كتب رواية قصيرة بعنوان "ضد المسيح" ضمّنها نظرته إليه. ونظرته، في مضمونها، آبائية النزعة وهي لا تخلو من الومضات النبوية. قال إن "ضد المسيح" استبان رجل أخلاق، لا غبار عليه. مال إلى النسك حتى اكتفى من الطعام بالخضار والبقول، وهو يؤمن بالله والصلاح. علّته التي لم تكن بادية للعيان انه كان لا يحب إلا نفسه. وحده الله عرف ان هذا الإنسان سوف يكون مستعداً لأن يسجد لقوى الشرّ إن تلقّى منها الرشوة التي توافق رغبة نفسه العميقة. ليس المقصود بالرشوة هنا ما يمكن ان يدغدغ الحواس أو يشبع الأهواء الدنيا أو حتى يرضي، لدى الإنسان، غرور السلطة. المقصود، بالأحرى، هو أن يكون لهذا الإنسان ما هو في مستوى محبّته لذاته بالمطلق. في هذا الإطار كثيراً ما كان يخطر بباله انه يملك، في ذاته، ما سبق ان كان المسيح يسوع عليه في حياته على الأرض. نظرته هذه إلى نفسه تنامت حتى حسب نفسه إلهاً، لا بل مخلّص العالم وظنّ ان المسيح هو مجرّد سابق له. فلما حلّ فيه الروح الغريب، قال له الشيطان: أنت ابني الوحيد المعادل لي. أنا أحبّك ولا أطلب منك شيئاً. أنت جميل وقوي وعظيم فقم بعملك لا باسمي بل باسم نفسك (الحاشية ٤٤). فسمعه واقتبله. هذا وقد عرف الله سلفاً، كما يذكر القدّيس يوحنا الدمشقي، شناعة اختيار "المسيح الدجّال" فترك للشيطان ان يسكن فيه[٥١].

٣. "ضد المسيح" سوف يكون، أوّل أمره، شبيهاً، في الظاهر، بالمسيح يسوع في كل شيء. غرض الشيطان من ذلك خداع الناس ان هذا هو المسيح المنتظر. فكما ان الرب يسوع سبق للأنبياء ان قالوا عنه إنه شبل أسد لملكه ومجده، كذلك لمّحوا إلى ان "ضد المسيح" يأتي كأسد ولكن لاستبداده وعنفه. هذا ما يشير إليه القدّيس هيبوليتوس الرومي[٥٢] وسواه من الآباء القدّيسين. الإشارة هنا هي إلى قبيلة دان التي قال العديد من آبائنا ان "ضد المسيح" يأتي منها في مقابل قبيلة يهوذا التي أتى منها الرب يسوع بالجسد. فقبيلة يهوذا تكنّت بالأسد وكذلك دان[٥٣]. لكن قيل أيضاً عن دان إنه

---

[51] الحاشية ٤٠

[52] القدّيس هيبوليتوس الرومي. مقالة عن المسيح وضدّ المسيح. عن الإنكليزية. من الانترنت www.newadvent.org/fathers/0516.htm

[53] عد ٣٣: ٢٢ ؛ تك ٤٩: ٩

"ثعبان على الطريق"[٥٤]. غير ذلك ان المسيح جاء ملكاً لذلك سوف يأتي "ضد المسيح" ملكاً. والمسيح استبان حملاً لذلك سوف يحاول "المسيح الدجّال" ان يظهر كحمل رغم كونه، في داخله، ذئباً[٥٥]. وكما أرسل المخلّص إلى العالم رسلاً للكرازة سوف يرسل "ضد المسيح" رسلاً كذبة ليجمعوا الضالين إليه. والمسيح أعطى الذين آمنوا به سِمَة خاصة أي حضوره وقوّته فيهم، لذلك سيعطي "ضد المسيح" أتباعه أيضاً سِمَته الخاصة[٥٦]. القدّيس أفرام السوري يقول ان "المسيح الدجّال" سوف يظهر متواضعاً، هادئاً، يكره الظلم وينفر من الأوثان. سيظهر للعيان تقياً، صالحاً، محباً للفقراء، بهجاً، ودوداً[٥٧]. "سيتظاهر، في البداية، باللياقة والاعتدال والميل إلى الإحسان"[٥٨]. سوف يسعى إلى إرضاء الجميع ليجذب الجميع إليه. لن يقبل هدايا من أحد. سيبدو خفراً، رزيناً إلى ان يبلغ مأربه[٥٩]. فمتى رأى الناس فيه هذه الفضائل والقوّات فستجتمع كلمتهم ليعلنوه ملكاً عليهم بفرح عظيم. لسان حالهم سيكون: هل هناك رجل صالح عادل كهذا الرجل؟! (الحاشية ٤٢). بكلام يواكيم فيوري "كما أن يسوع المسيح أتى بآيات حقّ لكنه كان متوارياً، متخفّياً وراء الطبيعة البشرية الخاطئة التي اتّخذها حتى ان قلّة عزيزة تمكّنت من التعرّف إليه، كذلك سوف يأتي الملك السابع [ضدّ المسيح] بآيات زيف متوارياً، متخفّياً وراء هيأة البرّ الروحي التي انتشح بها حتى إن قلّة عزيزة سوف تتمكّن من التعرّف إليه أنه "ضدّ المسيح"[٦٠]. وما إن يستلم "المسيح الدجّال" زمام الأمور حتى تأخذ حقيقته تتكشّف. يفيض مرارة ويقلق الأرض من أطرافها إلى أطرافها. يقمع ويظلم ويدنّس النفوس. يلقي عنه ثوب التقى والحياء ليقسو في كل شيء. يستبين فظّاً، سريع الغضب، لا يرتاح إلى حال، مرعباً، مزعجاً، كريهاً، شهوانياً، مقرفاً، متوحّشاً، ملعوناً، وقحاً. يحاول جاهداً ان يلقي بالجنس البشري برمّته في مهاوي الكفر. هذه وسواها من الأوصاف هي ما يوافينا بها القدّيس

---

54 تك ٤٩: ١٧

55 الحاشية ٥٢

56 الحاشية ٥٢

57 الحاشية ٤٢

58 الحاشية ٤٥

59 الحاشية ٤٢

60 Joachim of Fiore in Apocalyptic Spirituality. SPCK 1979 p. 141

أفرام السوري[٦١] عن "ضدّ المسيح" متى أماط اللثام عن وجهه. أدسو الراهب يقول عنه إنه "سيحيي عبادة الشياطين في العالم" (الحاشية ٥٠).

٤. ما علاقة "ضد المسيح" بأمّة اليهود؟ بالإضافة إلى ما سبق ان أوردناه عن أصل "المسيح الدجّال" انه من قبيلة دان اليهودية يأتي، يمدّنا الآباء القدّيسون بملاحظات كالتالية:

✠ القدّيس إيرونيموس يقول صراحة إن "المسيح الدجّال" سوف يأتي من أمّة اليهود[٦٢]. سيكون محتقراً، وضيعاً، أول أمره، لكنه بالحيلة والادّعاء والخداع سيترقّى إلى أن يحكم العالم.

✠ القدّيس يوحنا الذهبي الفم يذكر ان الرب يسوع لما قال لليهود "انا قد أتيت باسم أبي ولستم تقبلونني. إن أتى آخر باسم نفسه فذلك تقبلونه"[٦٣]، أقول يذكر الذهبي الفم ان هذا الذي سوف يأتي باسمه ويشهد لنفسه هو الذي سيقبله اليهود مسيحاً لهم. "ضد المسيح" سوف يأتي من اليهود ولكنه سيأتي شاهداً لنفسه. القدّيس يوحنا الدمشقي يقول إنه، أي "المسيح الدجّال"، سيحاجج اليهود، مقاومي الله، فيقبلوه (الحاشية ٤٠).

✠ ويقول القدّيس هيبوليتوس الرومي عنه انه سوف يقيم مملكة اليهود[٦٤]. كذلك سيكرم أمّة اليهود إكراماً عظيماً[٦٥]. سوف يحبهم أكثر من كل أمم الأرض. كما سيبني لهم هيكل أورشليم[٦٦]. وهو سيفعل ذلك ليحمل اليهود على الاعتقاد انه هو إيّاه

---

61 الحاشية ٤٢

62 القدّيس إيرونيموس. تعليقه على نبوءة دانيال ١١. راجع Forewarnings of Coming Woe Footnotes. www.historicist.com/horae/forewarnings.htm

63 يو ٥: ٤٣

64 حاشية ٥٢

65 حاشية ٤٢

66 حاشية ٥٢

المسيح الآتي من نسل داود[٦٧]. ولكن بعد ان يبلغ مأربه ينال من شريعة موسى أيضاً[٦٨].

✠ وسوف يجلس "ضدّ المسيح" في هيكل أورشليم كإله (الدمشقي، إيرونيموس، أمبروسيوس، أدسو الراهب...). آخرون من الآباء كالذهبي الفم[٦٩] يذكرون ان "ضدّ المسيح" سيقيم في الكنائس المسيحية بالذات. وآخرون كالمغبوط أوغسطينوس متحيّرون[٧٠].

٥. كيف تبدو قدرات "المسيح الدجّال" الطبيعية والمكتسبة في المناخ الآبائي؟ القدّيس كيرللس الأورشليمي يصفه بـ"الذكي والعالم". فلاديمير سولوفييف يصوّره كرجل فائق، "سوبرمان". رجل عبقرية فذّة. في الثالثة والثلاثين يمتاز بكونه مفكراً عظيماً وكاتباً كبيراً، صافي الذهن، له قوّة داخلية فائقة. سولوفييف أيضاً يجعله رأسمالياً كبيراً وخبيراً عسكرياً، صاحب علاقات طيّبة بالأوساط المالية والعسكرية. وإذ يضع "ضدّ المسيح" مؤلّفه "الطريق المفتوح إلى السلام والازدهار العالميين" تتجلّى عبقريته. يأتي عمله جامعاً يقدّم فيه حلاً لكل مشكلة. يُذكر ان سولوفييف يبدي، في شأن "المسيح الدجّال"، انه سوف يتبوّأ السدّة الأولى في العالم، كأمبراطور روماني باعتباره صانع سلام فذّاً وقادراً على حلّ مشكلات العالم الأمنية والاقتصادية والاجتماعية. ويُذكر أيضاً ما يبديه سولوفييف ان الشراكة الأوروبية هي التي ستقدّمه رئيساً لها مدى الحياة. ثم بعد ذلك يسود على شعوب الأرض قاطبة. يشار هنا إلى قول للقدّيس أفرام السوري يقول فيه "ان الأرواح الخبيثة المنتشرة في الكون سوف تذيع رأياً طنّاناً في شأن "المسيح الدجّال" وسوف تحرّك حميّة عامة حياله وتشيع جاذبية لا تُقاوم إليه". عن الموضوع ذاته يبدي القدّيس أغناطيوس برينشانينوف "ان صوتاً إيمائياً سوف يتردّد في مجتمعات الناس معبّراً عن الحاجة الملحّة إلى عبقري من العباقرة يكون بمقدوره ان يرفع النمو والازدهار الماديّين إلى أعلى مستوى ويوطّد الرخاء على الأرض"[٧١].

---

67 حاشية ٤٥

68 حاشية ٦٢

69 حاشية ٦٢

70 حاشية ٦٢

71 حاشية ٤٩

٦. واجهة "ضد المسيح"، إذاً، سوف تكون السلام والأمان والرخاء. أما سعيه، في العمق، فلمحو ذكر الله ومسيحه من نفوس العباد. من هنا اهتمامه بوسم الناس على أيديهم اليمنى وجباههم. الأسقف أفركي توشيف (+ ١٩٧٦)، وهو روسي، يرى أن خدّام "ضدّ المسيح" يبذلون قصارى جهدهم ليُخرجوا الله من حياة العباد وذلك بصرفهم إلى البحث عن الرخاء في الحياة الدنيا. إذا ذاك تسقط الصلاة لديهم، بصورة تلقائية، ومعها ذكر الله. إذ ذاك يحيون وكأنه ليس إله. وسمُ الناس لن يكون بالإكراه. بالأحرى سيكون بالإقناع والخداع والتضييق "لكي يُضلّوا لو أمكن المختارين أيضاً"[٧٢]. فقط المختارون، في الحقيقة، سيكونون هدفاً للخداع والتضييق الشديد والاضطهاد. أما الغالبية العظمى فلا أقول فقط إنها ستقبل السِمَة، سِمَة "الوحش"، عن اقتناع، عن طيب خاطر، بالأحرى سوف تقتبلها بفرح وستجد فيها امتيازاً لنفسها، بالضبط لأن نفوس الأكثرين ستكون مهيّأة لذلك، لا سيما وان "المسيح الدجّال" سوف يَعِدُ الناس بخيرات جزيلة. هذا واضح في كلام القدّيس قوزما الأيتولي[٧٣]. بكلام القدّيس هيبوليتوس الرومي، سيَعِد "ضدّ المسيح" الجميع بالخلاص وهو لا يقدر ان يخلّص نفسه.

لكن ما معنى سِمَة الوحش وما مفاعيلها؟ يقول القدّيس أفرام السوري إن السِمَة لن تكون على أي عضو كان، لا فرق، من أعضاء البدن بل، بالضبط، على اليد اليمنى والجبهة لكي لا تعود للإنسان قدرة على رسم إشارة الصليب ولا على ذكر اسم الرب يسوع. السبب ان الخبيث يعلم جيداً قوّة اسم يسوع وان قوّة الشيطان بعلامة الصليب تتحلّ. كذلك بختم علامة "ضدّ المسيح" يصير المرء عبداً للأوهام الشيطانية التي تمنعه[٧٤] من ذكر اسم يسوع. هذه السِمَة هي التي تجعل الله ينصرف عن الإنسان بالكامل. يسلمه للشيطان بالكامل لأن الإنسان، إذ ذاك، يصير عبداً للشيطان بالكامل. الأب بائيسيوس الآثوسي يقول إن مفاعيل سِمَة الوحش أو عدده، لا فرق، سوف تكون مدمِّرة للإنسان

---

[72] متّى ٢٤: ٢٤

[73] From The Antichrist & the 2nd Coming of Christ. Fr. D. Carellas. p. 18

[74] كيف ذلك؟ خلال هذا العام (٢٠٠٢) جيء بصبيّة إلى كاتب هذه السطور ليصلّي عليها. فلما طلب منها، بعد الصلاة، أن تسجد قائلة: أسجد للآب والابن والروح القدس، لم تفعل. ولما أصرّ عليها قالت لا أقدر وأجهشت في البكاء!

الروحي والحياة برمّتها. لماذا؟ لأنها ستعطّل، أو بالأحرى ستتسبّب بارتحال نعمة الله وبركته عنا. ستجعل المعمودية المقدّسة التي عُمِّدنا بها باطلة، وكأنها لم تكن. سوف نفقد في داخلنا، إذا قبلنا سمَة الوحش، التأثير الحيوي للمسحة المقدّسة، مسحة الروح القدس، مسحة الميرون. كذلك سنضيّع كل مواهب الروح القدس التي تجعل منا هيكلاً لله الحي (الحاشية ٧٣). فإن الله والشيطان لا يتعايشان فينا. علينا أن ندرك هذا الأمر جيداً. القدّيس أندراوس القيصري يقول ان "المسيح الدجّال" سوف يشدّد على ضرورة وَسم الناس، على أيديهم اليمنى ليحول دونهم وعمل الخير وما هو قويم، وعلى جباههم لينشئ المخدوعين به على الجسارة والوقاحة في الضلال والسلوك في الظلمة[٧٥]. هذا وستنتشر سِمَة الوحش في كل مكان، في عمليات البيع والشراء، بحيث يتعرّض الذين لا يقبلونها لضغط هائل ولخطر الموت من جرّاء الحاجة إلى الضرورات المعيشية. في ذلك الحين سيصير اسم الرب عزيزاً حتى إن مجرد التفوّه به، من القلب، سوف يجعل صاحبه أهلاً، في رأي الذهبي الفم، لأن يُحصى في مصاف القدّيسين الكبار.

٧. ولكنْ، قبل هذا التضييق الفظيع الذي ينزل بـ"المختارين" سيحاول "ضدّ المسيح" وزبانيته، أي خدّامه، ان يخدعوا مَن أمكن خداعهم بالآيات والعجائب. مثل ذلك إنزال النار من السماء[٧٦]، كما يقول الكتاب العزيز. ما طبيعة هذه الآيات؟ يقول لنا القدّيس أندراوس القيصري ان هذه العجائب والآيات لن تكون حقيقية بل وهمية. ستكون بمثابة خدع بصرية وحسّية. كذلك سيستعين "ضدّ المسيح" بالقوى الطبيعية المخبوءة[٧٧] ليَظهر وكأنه يَصنع المعجزات. فقط الذين قلوبهم في الأرضيات سوف ينخدعون. أما القدّيس أفرام السوري فيبدي ان الآيات الشيطانية ستتكاثر، لكنه يوافق سواه أنها ستكون آيات غير حقيقية. سيحرّك الخبيث الجبال ويُخرج من البحر جزراً بصورة وهمية. الضلال في ذلك الحين، بحسب الذهبي الفم، سوف يبلغ الأوج. ويؤكّد القدّيس كيرللس

---

[75] حاشية ١١ ص ١٩٤

[76] رؤ ١٣: ١٣

[77] يسمّي سولوفييف النبي الكذّاب أبولونيوس ويجعله نصف أوروبي ونصف آسيوي ويقول عنه إنه تعلّم فنّاً نصفه علم ونصفه صوفي أتاح له ان يجتذب ويوجّه، إرادياً، شحنات كهربائية جوّية. الناس قالوا عنه إنه قادر على إنزال نار من السماء.

الأورشليمي ان أب الكذب، أي الشيطان، سيعمل أعمال الكذب "ليوهم الجماهير بأنها ترى الميت يقوم من الموت، فيما لا يكون قد قام، والعرج يمشون والعمي يبصرون، فيما لا يكون قد حدث من ذلك، بالفعل، أي شيء". الشيطان يعلم جيداً، بحسب القدّيس كيرللس الأورشليمي، انه بإذاعة الأكاذيب لا يعود الحقّ يُصدَّق، لذلك يشيع الكذب في كل اتجاه. ويصف "المسيحَ الدجّال" بالرجل الساحر الخبير في أعمال السحر والعِرافة[٧٨].

٨. مَن هم الذين سينخدعون وكيف تجري تهيئتهم من قبل عمّال "ضدّ المسيح" لاقتبال الكذب وكأنه الحقّ، والضلال وكأنه السداد وسواء السبيل؟ يرى الأسقف أفركي[٧٩] ان نظام الحياة الراهن في البلدان المسمّاة "حرّة" حيث لا اضطهاد دموي مكشوف يطال الإيمان، وحيث لكل إنسان الحقّ في ان يؤمن بما يرغب فيه، أقول نظام الحياة هذا يشكّل لنفس الإنسان المسيحي خطراً أشد من خطر الاضطهاد الدموي المكشوف. السبب ان هذا النمط من الحياة يقيِّده بالكامل إلى الأرض ويرغمه على نسيان ما هو للحياة الأبدية. بكلام الأب بائيسيوس الآثوسي ان ما يكمن وراء الروح العالمية للحرّية اليوم، وراء اللامبالاة بإزاء كنيسة المسيح، وراء انعدام التوقير للآباء القدّيسين والأهل والمعلّمين الذين يخافون الله، وراء كل هذا تكمن العبودية الروحية والقلق والفوضى التي تفضي بالناس، في نهاية المطاف، إلى طريق مسدود وإلى الإنحلال الروحي والجسدي[٨٠].

بكلام القدّيس غريغوريوس اللاهوتي، علّة الشر التي هي وراء هيمنة "ضدّ المسيح" علينا ليست سوى "آثامنا وأمراضنا"[٨١]. هو يخدع مَن كان أساس ذهنهم فاسداً وضعيفاً[٨٢]. هذه الضلالة ستحدث حين يصاب إيمان الناس بالإله الحي الحقيقي بالنشاف. لهذا يُسلمهم الله إلى ذهن مرفوض ليفعلوا ما لا يليق، لأنهم لم يستحسنوا ان يبقوه في معرفتهم[٨٣]. بالنسبة للقدّيس أفرام السوري كل مَن يوجد غير مبال بالإلهيات، ولو قليلاً،

---

78 حاشية ٤٥

79 حاشية ١١ ص ٢٠

80 حاشية ٢

81 حاشية ٧٣

82 حاشية ٤٠

83 رو ١: ٢٨

يحاصره الشرّير.

من جهة أخرى، يبدي القدّيس كيرللس الأورشليمي ان الكراهية بين الإخوة تمهّد السبيل للمسيح الدجّال، لأن الشيطان يبذر بذور الشقاق بين الشعوب ليُحسنوا استقباله حين يأتي، على حدّ تعبيره. هناك كثيرون ارتدّوا عن الإيمان القويم. من قَبل كان الهراطقة ظاهرين، أما اليوم فالكنيسة ملأى بالهراطقة المستترين إذ تخلّى الناس عن الحقّ وصمّوا آذانهم[٨٤]. لا ننسينّ ان القدّيس كيرللس نقل هذا التعليم منذ أكثر من ألف وستمائة سنة. فإذا كان كلامه صحيحاً بالنسبة لعصره فكم تراه يصحّ علينا اليوم، نحن الذين انتهى إلينا إرث الارتداد بعدما تنامى كل هذه الأجيال؟!

٩. أية اضطهادات سوف تطال المؤمنين في ذلك الزمان؟ يقول المغبوط أوغسطينوس إن الاضطهادات التي ستقع على المؤمنين في أواخر الدهور سوف تكون أشدّ وأقسى من كل الاضطهادات التي عرفتها كنيسة المسيح في كل تاريخها[٨٥].

القدّيس أفرام السوري في عظته يتساءل في شأن تلك الاضطهادات: مَن الذي سيبقى صامداً يومذاك؟! مَن الذي سيثبت ولا يهتز إذا لم تكن له العلامة في نفسه، أي الحضور المقدّس لابن الله الوحيد؟! فإن أسًى لا يُوصف سوف ينتشر في كل مكان ويستبدّ بكل نفس. لن يكون هناك أدنى عزاء ولن توجد راحة لا في البحر ولا على اليابسة. كل العالم يُلقى، يومذاك، في شواش. واحد يهرب ليختبئ في الجبال وآخر يموت من الجوع وثالث يذوب كالشمع من الألم ولا من يبدي رحمة حين ترَى كل الوجوه باكية. فيسأل المرء بِوَلَه ما إذا كانت كلمة الله مسموعة بعدُ في الأرض؟ فيَسمع: ليس بعد! مَن يقدر ان يحتمل ثقل تلك الأيام؟! حين يأتي الوحش لن يكون هناك سوى الألم والخوف والجوع والموت والاضطهاد ولا مَن يعزّي! يجيش البحر وتيبس الأرض والسماء لا تجود بنداها وتجفّ المزروعات. الذين في الشرق يهربون إلى الغرب والذين في الغرب يهربون إلى الشرق. الرضّع يموتون في أحضان أمهاتهم والأمهات فوق أطفالهم والرجل وامرأته وأولاده يقضون في الأسواق ولا يكون هناك مَن يدفنهم. رائحة الجيف ستنتشر في كل مكان ويكون هناك

---

[84] حاشية ٤٥ ص ٢٧٦ – ٢٧٧

[85] Hieromonk Ignati. The Church of Christ in the Time of the Antichrist. p 6

ضيق لم يكن مثله منذ ابتداء الخليقة، على ما قال الرب يسوع. ولن يجد الإنسان، من بعد، مكاناً يهرب إليه.

القدّيس أفرام السوري عبّر عن خوفه بإزاء ما رأى أنه سيعرُض للناس في تلك الأيام. والقدّيس باسيليوس الكبير، إذ ينظر بعين قلبه ما هو آت على البشرية في آخر الأيام، يصرخ: "يا إلهي، لا تدعني أعيش إلى أيام المسيح الدجّال لأني لست واثقاً أني سأتمكّن من مقاومة تعذيباته دون أن أكفر بك"[٨٦].

وبعد أن يستطرد القدّيس أفرام في وصف حال الخليقة في الزمن الأخير يستدرك فيخاطب المؤمنين بقوله:"علينا أن نفهم يا إخوة، بكل دقّة، ان أوهام الوحش يمكن تجنّبها. فإن ربّنا يأتي في السكون ليردّ عنا غوائل الوحش. فإذا تمسكنا، بأصالة وثبات، بالإيمان بيسوع، نفضنا عنا اقتدار الوحش". وفي غير مكان قال إنه سيكون هناك العديدون من الذين أرضوا الله. هؤلاء سيخلصون في التلال والجبال والبراري بصلوات كثيرة ودموع غزيرة. هؤلاء سيرأف الله بهم، كأب عطوف، ويحفظهم.

هذا ويشير القدّيس كيرللس إلى "أن شهداء ذلك الزمان ستكون قامتهم أكبر من قامة جميع الشهداء الذين سبقوهم. إذ إن هؤلاء لم يواجهوا إلا بشراً، وأما أولئك فسيواجهون المسيح الدجّال، الشيطان بعينه..."[٨٧].

١٠. أجل سوف يكون هناك مَن يميّزون "وجه ضدّ المسيح" ومَن لا يميّزون. الذين همّهم في السماويات سيعرفون والذين همّهم في الأرضيات سيجهلون (القدّيس أفرام السوري). القدّيس إغناطيوس برينشانينوف يقول الشيء عينه ولكن بحدّة أكبر. يقول: "مَن لا يكون ملكوت الله في داخله لا يقدر ان يميّز ضدّ المسيح"[٨٨]. "ضدّ المسيح"، لا يميّزه أحد بحسب الظاهر. يعرف الشيطان جيداً أن يأخذ شكل ملاك نور[٨٩].

---

[86] Archim. N. Moulatsiotis. When Will The Second Coming Of Our Christ be?

[87] حاشية ٤٥ ص ص ٢٨٢ - ٢٨٣

[88] www.orthodox.net/gleanings/antichrist.html

[89] ٢ كور ١١: ١٤

١١. متى يتحقّق كل ذلك؟ لا نبحثنّ عن تحديد زمن. الذهبي الفم ينبّهنا انه ليس لنا أن نلتمس وضوحاً في النبوءات حيث الظلال والأحاجي، تماماً كما لا نلتمس، في البرق، نوراً بل نكتفي بمجرد الالتماعات[٩٠]. والقدّيس أندراوس القيصري يقول ان الذين سيلازمون السهر ويحافظون على أمانتهم لله، هؤلاء سيتبيّنون الساعة متى حلّت. أما الذين يغطّون في سبات ارتدادهم فكالمخاض للمرأة تأتي عليهم تلك الساعة فلا ينجون.

الوحش

- ضدّ المسيح -

هو الجالس على

العرش والتنّين

يعطيه قوّته

وسلطانه رؤ ١٣: ١- ٢

(مخطوط روسي

القرن ١٨)

---

[90] حاشية ١١ ص ٦٩

المسيح الدجّال اليوم

لو كان لنا ان نتمعّن في الحالة التي آلت إليها البشريّة اليوم، لو كان لنا ان نصدر حكماً في شأن هذه الحالة في ضوء ما سبق لنا أن أوردناه من أقوال الكتاب المقدّس والآباء القدّيسين، في شأن الزمان الأخير وضدّ المسيح، لو كان لنا أن نقول الحقّ اليوم لقلنا إن الحالة البشريّة والساحة العالمية على وشك، اليوم، ان تستكمل استعداداتها لاستقبال "المسيح الدجّال". النفوس مهيَّأة. الإثم يزداد. بات فنّاً شائعاً. الأزمات الاقتصادية تتفاقم. الحالة السياسية تسير، بالبشريّة، بخطى ثابتة أكيدة نحو حكومة عالمية واحدة. الآتي يلوح في الأفق. عالمنا، ربما في غضون سنوات، سيكون "مستعداً" لاستقبال ديكتاتور يحكمه. التكنولوجيا الحديثة تقدَّمت إلى حدّ بات معه إمكان ضبط شؤون الأرض وتسييرها من قبل حكومة مركزية أمراً ميسوراً. الواجهة ستكون أمنية اقتصادية. صدّقوا أو لا تصدّقوا: عالمنا اليوم يسبح في روح ضدّ المسيح بامتياز!

أترى هذا القولَ محض خيال أم له ما يبرِّره؟ لنقرأ وننظر.

النفوس مهيَّأة

بأي معنى باتت النفوس مهيَّأة؟

✠ الدهرية اليوم اكتسحت الأرض وتغلغلت في ثنايا النفوس. فقط قلّة قليلة من الناس لا تزال بمنأى عن المنحى الدهري اليوم. ولكن ما هو معنى الدهرية؟ معناها، ببساطة، هو أن يتركّز اهتمام الناس في شؤون هذا الدهر، في شؤون الأرض. معناها ان يكون هذا الدهر قائماً بذاته، مكتفياً بذاته، له غايته في ذاته، يسيِّر ذاته بذاته وفقاً لنواميسه الخاصة. والإنسان فيه، أي في هذا الدهر، يسيِّر أموره، بقواه الذاتية، لا سيما بقوّة عقله. وبقدر ما يحقّق الإنسان طموحاته ورغبات نفسه وشهوات قلبه في هذا الدهر

بقدر ما يحسب انه قد حقّق نفسه، أفراداً وجماعات. الإنسان الدهري يمكن ان يكون مؤمناً بالله ويمكن ان يكون غير مؤمن. سيّان فطريقة تفكير هذا وذاك تبقى واحدة، في أساسها، وكذلك نمط حياة كليهما. الله يدخل في الصورة كمن الخارج. يحسب الدهريّون ان الله لا يتدخّل، بعامة، في شؤون الناس ولو كان قادراً على ذلك. وإذا ما تدخّل فإنما يعلن عن نفسه بالخوارق والعجائب. أما عبادة الإنسان الدهري فطقوس واحتفالات رمزية. هذه الطقوس والاحتفالات لا علاقة لها، بالضرورة، بالطريقة التي يحيا فيها الإنسان. فيما عدا ذلك ديانات الناس ديانات بشريّة، أساسها أهواء الناس، وهي تركّز، بعامة، على الإنسان وقضايا الإنسان والبيئة وما إليها، وعلى تنمية القوى الذاتية للإنسان، كما تهتم بتزكية مآربه الخاصة والعامة. قد يؤمن بعض هذه الديانات بالإله الواحد دون ان يؤثّر معتقدها في طبيعة الحياة الدهرية التي تنضوي هذه الديانات تحت لوائها. بالعكس، تنسب الديانات، في مثل هذه الحالة، دهريتها لله وتستخدمه لدعمها، بحيث تمسي دهريتها، في عين أصحابها، كائنا ما كان الشكل الذي تلتزمه في إتمام مقاصدها الدهرية، أقول تمسي دهريتها تعبيراً عن إيمانها بالله وإتماماً لإرادة الله. قد يؤمن الدهريون، أو بعضهم، بأن الله خلق العالم وقد يؤمنون بالحياة بعد الموت ولكن لا يؤثّر إيمانهم في أسلوب حياتهم بالضرورة إلا في إطار ممارساتهم الطقوسية وما يعتبرونه واجبات دينية والتزامهم القواعد الأخلاقية العامة وما له صلة بالمشاعر الإنسانية النبيلة كالإحسان والكرم والتعاون والتسامح ونصرة الخلاّن وما إليها. الدهريون يسيرون بدياناتهم، مهما بدت سامية، لما في ذلك المسيحية، إلى مصير واحد، يسيرون بها، من حيث يدرون ولا يدرون، إلى الوثنية.

هنا لا بد لي من أن أتحوّل عن موضوع الدهرية لأُجيب عن تساؤل ربما يكون قد راود أذهانكم: ما عيب الدهرية إذا كانت على النحو الذي وصفت؟ ألسنا كلّنا أو أكثرنا يعيش كذلك؟ ألا يكفي الإنسان أن يقوم بواجباته الدينية وأن يكون تعامله مع الناس أخلاقياً وان تكون له من نحو الناس مشاعر نبيلة؟ سامحوني إذا قلت إذا كان هذا الخاطر قد خطر ببالكم بالفعل فإنه يكون الدليل الأكبر على أننا مشبعون بالروح الدهرية التي سبق ان تحدّثت عنها. هنا بالذات بيت القصيد. هنا يكمن أساس الضلال الذي لا بدّ له، عاجلاً أم آجلاً، من ان يجعلنا نُسلم أنفسنا للمسيح الدجّال لا طوعاً وحسب بل بفرح كبير أيضاً وكأنه المنقذ، كأنه المسيح المنتظر. كأنه، بمعنى "آدم الجديد" على صورة أهوائنا. هذه

الدهرية بالذات هي الإطار الذي يجري تهيئة البشريّة فيه لاقتبال "ضدّ المسيح"، وهي التي يمكننا، في ضوئها، ان نفهم حقيقة ما يجري على الساحة العالمية اليوم، بما في ذلك لقاءات الديانات من أجل السلام، وهو ما أخذنا نسمع عنه، في الآونة الأخيرة، بتواتر. لماذا وكيف ذلك؟

المسيحية والدهرية لا يتآلفان. المسيحية نقض للدهرية والدهرية نقض للمسيحية. المسيحية في إطار الدهرية تَفسد وتسقط. "لا شركة للنور مع الظلمة"[٩١].

✠ الدهرية توهم الإنسان ان له قيمة في ذاته. المسيحية تقول له، صراحة، إنه تراب ورماد.

✠ الدهرية تدفع الناس إلى الإيمان بإنفسهم، أي إلى الدوران حول أنفسهم ومشيئاتهم وأفكارهم ومشاعرهم ومراميهم. المسيحية تدعو الناس إلى الإيمان بالرب يسوع المسيح، أي إلى الدوران حوله وحول كلامه ووصاياه.

✠ الدهرية تؤمن بالحضارة الإنسانية والمُثُل العليا. المسيحية تدعو الإنسان إلى الإيمان بالرب يسوع المسيح، بالإله المتجسِّد. هو البداية والنهاية. هو الألف والياء. منه وبه وله كل شيء.

✠ الدهرية تقول إن الإنسان يحقّق إنسانيته بقواه الذاتية لا سيما بالعقل. المسيحية تقول إن الإنسان يحقّق إنسانيته بإيمانه بالإله المتجسِّد.

✠ الدهرية تقول إن العالم قائم في ذاته. المسيحية تقول إن العالم قائم في الله. "به نحيا ونتحرّك ونوجد"[٩٢].

✠ الدهرية تقول إن الإنسان صالح وهو قادر، في ذاته، على ان يقوم بأعمال صالحة. المسيحية تقول: "ليس صالح إلا الله"، وكل صلاح هو من الله. أما الصلاح الذي يأتيه الإنسان، من دون الله، فدائماً ما يكون ملطّخاً بالأنانيات.

---

91 ٢ كور ٦: ١٤

92 أع ١٧: ٢٨

✠ الدهرية تقول إن الإنسان مدعو لأن يحقّق المدينة الفاضلة، أي المدينة المثالية (Utopia)، على الأرض. كل جهده ينبغي أن ينصبّ على تحقيق هذا الهدف. هذه خلاصة الأيديولوجيات. المسيحية تقول إن المدينة الفاضلة مشروع وهمي. الإنسان سقط في عبادة نفسه وسقوطه إفساد لكل صالحة يأتيها. المسيحية تقول أيضاً إن الإنسان مدعو لأن يتألّه، أي لأن يشترك في الألوهة كما اشترك ابن الله في البَشَرَة، لأن يصير إلهاً لا بنفسه بل بالنعمة. لهذا يُعطى الإنسان روح الرب القدّوس. "أنا قلتُ إنكم آلهة".

✠ الدهرية تحمل الإنسان على السعي إلى الرخاء على الأرض. المسيح يقول له: "اذهب بع كل شيء ووزّعه على الفقراء وهلمّ ورائي حاملاً الصليب"[٩٣].

✠ الدهرية تقول للإنسان إن له ههنا، على الأرض، بيتاً أبدياً عليه ان يبنيه لنفسه ولأولاده من بعده. بهم يحقّق نفسه. المسيحية تقول: "ليست لنا ههنا مدينة باقية بل نطلب الآتية"[٩٤].

✠ الدهرية تحثّنا على ان ننهل من أطايب الدنيا ما وسعنا. المسيحية توجّهنا: "إن كان لنا طعام وكسوة فلنكتف بهما"[٩٥].

✠ الدهرية تقول إن غاية مقاصد الإنسان هي ان يخدم مجتمعه. المسيحية تقول إن غاية مقاصد الإنسان ان يقتني روح الرب القدّوس ويعاين النور الإلهي غير المخلوق.

✠ الدهرية تقول إذا أحببت الإنسان تكون قد أحببت الله. المسيحية تقول إذا لم يحبّ الإنسان الله أولاً، أي إذا لم يتنقّ من حبّه لنفسه بالوصية الإلهية فلا يمكنه ان يحبّ أخاه الإنسان. محبته لأخيه الإنسان معظمها، إذ ذاك، شعارات جوفاء. تستحيل تمنّيات وأحلاماً ومسكرات عاطفية.

✠ الدهرية تلتمس تخليد القيَم الإنسانية المتوارثة. المسيحية تلتمس اشتراك الناس في قيامة المسيح.

---

93 مر ١٠: ٢١

94 عب ١٣: ١٤

95 ١ تي ٦: ٨

✠ الدهرية تتعاطى الحياة الداخلية للإنسان باعتبارها حياة نفسانية، أي مشاعر وأحاسيس وأفكاراً وتصوّرات وقناعات وخيالات وإدراكات. المسيحية تتعاطى الحياة الداخلية باعتبارها حياة روحية أي متمحورة حول روح الرب القدّوس، تقوم على أساس إكراه النفس على إتمام الوصايا الإنجيلية والتعاونِ مع روح الرب القدّوس المقيم فينا، بالمعمودية، والسلوكِ في هدي روح الرب.

✠ كلّما تمادى الإنسان في الحياة الدهرية كلّما انتفت الضرورة لديه إلى الرب الإله. وكلّما انتفت الضرورة لديه إلى الرب الإله كلمّا استحالت صلاته صلاة جوفاء. "هذا الشعب يعبدني بشفتيه، أما قلبه فمبتعد عني بعيداً"[96]. وبالعكس كلّما استرسل الإنسان في ذكر الله كلّما استبانت في عينيه عدمية هذا الدهر. وكلّما استبان له ذلك كلّما زهّد في الحياة الدنيا وطلب الآتية.

✠ كلّما ازدادت ثقة الإنسان بنفسه، في الحياة الدهرية، كلّما استغنى عن الله. وكلّما استغنى عنه أسقطه من حسابه إلا متى شعر بالعجز والحاجة. إذ ذاك يعود ذكر الله إليه. وإذ ذاك تأتيه كلمة الله "لأني دعوتُ فأبيتم ومددتُ يدي ولم يكن مَن يلتفت ونبذتم كل مشورتي... فأنا أيضاً أضحك... إذا حلّ بكم الضيق والشدّة"[97]. "لا ألتفت إليهم بل أُدير لهم القفا في يوم محنتهم"[98].

✠ المسيحي المستغرق في الحياة الدهرية يصلّي عند اللزوم، لقضاء حاجاته وتأمين الدعم المادي والنفسي لذاته. المسيحية تقدّم الصلاة للمؤمنين باعتبارها أعظم هبات الله للإنسان. الصلاة تصل الإنسان بالله. الصلاة هي الوصال. هي فعل المحبة. هي الدخول في شركة مع الله. هي الاشتراك في نور الله. هي اتحاد الحب بالله. لا يصلّي الإنسان لقضاء حاجة نفسه بل ليسلم نفسه ومشيئته وحاجته لله. "لتكن مشيئتك لا مشيئتي"، لأنه يعلم ان كل شيء، في نهاية المطاف، يعمل معاً للخير للذين يحبّون الله

---

96 إش ٢٩: ١٣

97 أم ١: ٢٤ – ٢٧

98 إر ١٨: ١٧

"وإرادة الله قداستكم"[99].

✠ الدهرية تقدّس الحرية الفردية. المسيحية تكبر التوبة لأنه بالتوبة يصير الإنسان حرّاً من الخطيئة. "إن حرّركم الابن فبالحقيقة تصيرون أحراراً"[100]. أما مَن يصنع الخطيئة فهو عبد للخطيئة[101] ولو حسب نفسه حرّاً. حرّيته، إذ ذاك، تفلّت أهواء.

خلاصة القول ان الدهرية هي محبة الإنسان لنفسه، عبادته لذاته. هذا هو العالم الذي قال عنه الكتاب "محبّة العالم عداوة لله" و "إن أحبّ أحد العالم فليست فيه محبّة الله". العالم الذي ينهانا عنه الرب الإله هو العالم الذي ابتدعه إنسان الخطيئة جيلاً بعد جيل وأنماه وحفظه وصانه بمؤسّسات. على ان وراء محبّة الإنسان لنفسه، من حيث لا يدري، يتوارى الشيطان. يقبض عليه الشيطان ويسيِّره في الخفاء وهو، أي الإنسان، يحسب أنه يسير بقوّة ذاته وفكره الخاص. بالحرية الشخصية، أو بما نعتبره نحن لأنفسنا حريّة شخصيّة، يستعبدنا. مهما كنا أذكياء الشيطان أذكى. مهما كنا قادرين الشيطان أقدر. السبب بسيط انه هو رئيس هذا العالم[102]، أي هو رئيسٌ مَن يعبدون أنفسهم وسيِّدهم وأبوهم. لما قال اليهود عن الله إنه أبوهم أجابهم يسوع معترضاً: "أنتم من أب هو إبليس وأعمال أبيكم تعملون". كلّما تمادى الإنسان في عبادته لذاته، كلّما استدعى "ضدّ المسيح". المؤمن القويم يدعو الرب يسوع كل يوم "أيها الرب يسوع تعال". والمؤمن بنفسه يدعو "ضدّ المسيح"، كل يوم، بطريقة حياته، ومن حيث لا يدري "يا أيها المسيح الدجّال تعالَ!".

---

99 ١ تسا ٤: ٣

100 يو ٨: ٣٦

101 يو ٨: ٣٤

102 يو ١٢: ٣١

النتيجة

ما همّ، بعد ذلك، متى يأتي المسيح الدجّال وكيف يأتي طالما روح المسيح الدجّال هو الفاعل فينا!

ما قلناه عن الحياة الدهرية لا يخصّ غيرنا بقدر ما يخصّنا نحن، أهلَ بيت الله. حالنا، إذا امتلأنا برّاً ذاتياً، يكون كحال اليهود الذين ظنّوا أنفسهم مبصرين وهم عميان، قادة عميان. وإذا كان أعمى يقود أعمى يسقط كلاهما في حفرة. إذ ذاك نَضطهد الذين يكلّموننا بالحقّ ونظنّ اننا نقدّم خدمة لله. نستعمل إنجيل الحقّ لنبرّر الباطل الذي فينا. نستعمل إنجيل الحقّ لندعم الدهرية التي اقتبلناها لأنفسنا. نسعى إلى مصالحنا المشتركة ونسمّي سعينا "وحدة" وندعمها بصلاة الرب يسوع عن تلاميذه إلى أبيه السماوي:"ليكونوا واحداً كما أننا نحن واحد"[١٠٣]. نزكّي عواطفنا البشرية الملطّخة بالأنانيات والأنانيات المشتركة ظانين أننا بذلك نتمّم وصيّة المحبّة: "وصيّة جديدة أعطيكم أن تحبّوا بعضكم بعضاً"[١٠٤]. نرغب في الهدوء والطمأنينة، لننعم بالرخاء، في هذا الدهر، ولو على حساب الآخرين ونصلّي: "أعطنا سلامك ومحبّتك، يا رب، فإنك قد أعطيتنا كل شيء" (قدّاس القدّيس باسيليوس الكبير). مسيحيتنا نريدها حلوة ناعمة تطيِّب أنفاسنا وتدعم رغباتنا وتهدِّئ مخاوفنا. بكلام آخر نريد وثناً يخدمنا لا إلهاً حياً يعيننا على المرض الذي فينا. ننسى دائماً ان يسوع لكي يقدِّس الشعب، بدم نفسه، تألّم خارج الباب[١٠٥]، خارج هذا العالم، خارج دهرية هذا العالم. ننسى دائماً دعوة الرسول بولس أن "فلنخرجْ إليه خارج المحلّة حاملين عاره". ننسى أن المسيح لم يكلّفنا في العالم إلا بالصليب. "مَن أراد أن يتبعني فليحمل صليبه ويأتي ورائي". الصليب المُفضي إلى القيامة، إلى الفرح. لم يعدنا في العالم بالسلام بل بالضيق لأن السلام في العالم مستحيل طالما أحبّ العالمُ الباطلَ ونبذ الحقّ، الحقّ الذي هو ان يُسلم المرء نفسه لله. لذلك "لا تحبّوا العالم ولا الأشياء التي في

---

103 يو ١٧: ٢٢

104 يو ١٣: ٣٤

105 عب ١٣: ١٣

العالم". ننسى ان مَن كانت فيه محبّة العالم لا يمكن ان تكون فيه محبّة الله وأن محبّة العالم عداوة لله. ننسى تصريح المعلّم "مملكتي ليست من هذا العالم". ننسى "ان العالم يمضي وشهوته وأما الذي يصنع مشيئة الله فيثبت إلى الأبد"[١٠٦]. لذلك هذه كلمة الرب لكل مَن لهم أذنان للسمع: "اخرجوا من وسطهم واعتزلوا يقول الرب ولا تمسّوا نجساً فأقبلكم"[١٠٧].

"ترَى متى جاء ابن الإنسان فهل يجد الإيمان على الأرض"؟

"يا أورشليم، يا أورشليم، يا قاتلة الأنبياء وراجمة المرسلين إليها. كم مرّةٍ أردت أن أجمع أولادك كما تجمع الدجاجة فراخها تحت جناحيها ولم تريدوا. هوذا بيتكم يُترك لكم خراباً لأني أقول لكم إنكم لا ترونني من الآن حتى تقولوا مبارك الآتي باسم الرب"[١٠٨].

الأرشمندريت توما (بيطار)

عائلة الثالوث القدّوس

(دير مار يوحنا – دوما)

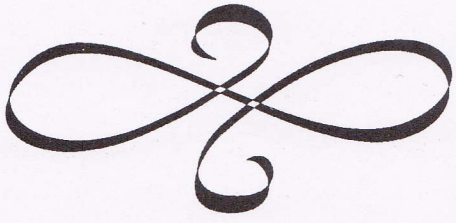

---

106 ١ يو ٢: ١٧

107 ٢ كور ٦: ١٧

108 متّى ٢٣: ٢٧ – ٢٩

الأثمة وضدّ المسيح

مَن هو ذاك الذي يأتي باسم نفسه، الذي سيكون الأثمة أكثر استعداداً لقبوله من المسيح؟ إنه مَن لا يأخذ الصليب ويدخل من الباب الضيِّق. مَن لا يحبّ الناس بل يبغضهم. مَن لا يقاوم الخطيئة بل من أجل الخطيئة. مَن يرغب في النجاسة وينشرها. مَن هو جندي للموت الأبدي لا للحياة الأبدية. مَن يتملّق الوثنيّين ويلاطف كل هوى ورذيلة.

هذا هو "ضدّ المسيح"

سوف يأتي باسمه لا باسم الله، وكل الذين لم يقبلوا المسيح سيقبلونه. سوف يرحِّبون به لأنه سيتساهل والخطأة المتمادين في طرقهم الملتوية.

متى جاء "ضدّ المسيح" إلى خاصته فسوف تقبله خاصته بفرح.

ومتى فات الأوان واكتشف "الأغبياء" أنهم وقعوا في الضلال ولا نصيب لهم في الخلاص، متى انزلقوا في مهاوي الليل الأبدي، إذ ذاك يكون الأوان قد فات. لن تكون لهم توبة ولا خلاص. وزواج "ضدّ المسيح" بالأثمة على الأرض سوف يكتمل، في طرفة عين، ودار القصوف النجسة تستحيل سجناً للندم والمرارة ولا مفرّ.

الأسقف نيقولاي فاليميروفيتش